

**إمالة ما قبل هاء التأنيث
في قراءة الإمام الكسائي
نظرات جديدة في ضوء علم الأصوات الحديث**

د . طارق محمود سلمان خوالدة

أستاذ اللغويات العربية المشارك بجامعة طيبة

المدينة المنورة

الملخص

تعد إمالة ما قبل هاء التأنيث في قراءة الإمام الكسائي من الظواهر الصوتية التي انتشرت بين العرب قديماً وحديثاً، وهي تنحية الفتحة نحو الكسرة لعوامل صوتية ذكرها المتقدمون والمحدثون، من أهمها: عامل الشبه الكبير بين الحركة والهاء من جهة المخرج والصفات، وهذا أدى إلى إمالة ما قبل الهاء كما يمال ما قبل الألف، ولأجل ذلك جاءت المخالفة الصوتية لإزالة الثقل من التشابه، غير أن البحث قد أظهر عوامل أكثر التصاقاً بالتحليل الصوتي واتساقاً مع علم الأصوات الحديث، منها: أن الحروف الخمسة عشر (فجثت زينب لذود شمس) والتي تمال عندها الهاء، هي حروف لسانية أمامية متوسطة وشفوية، والإمالة حركة أمامية يستعلي فيها مقدم اللسان نحو الحنك الصلب، وهذا فيه تقارب لا بأس به مع الحروف الخمسة عشر، وهذا فيه تماثل خفي وغير ظاهر، بعكس الحروف المستعلية التي تمتنع معها الإمالة، كونها أصوات مستعلية متأخرة، ابتعد مخرجها من مخرج الإمالة. كما أن التضييق الذي تحدثه الإمالة فيه حد من تدفق الهواء واستنزافه، وهذا يفيد كثيراً في إظهار جرس الهاء التي تتصف بالخفاء والضعف، من خلال توفير هواء كاف لإخراجها كاملة غير منقوصة، وهذا ما تحققه الإمالة.

Summary

Imalah before the feminization (Haa-هـ) in Imam Elkisai recitation is considered as one of the voice phenomena that spread among the Arabs in old and modern times, it is to tend the Fathah to the kasrah because of vocal factors mentioned by old and modern scholars, the most important of which are: the great similarity between vowel mark and (Haa-هـ) in the outlet and characteristics, this led to Imalah before (Haa-هـ) as it also happens before (Alif (أ, and for that came an acoustic contradiction to eliminate the burden resulting from the similarity, however the research has shown factors that are more closely related to phonetic analysis and consistent with modern Phonetics, including : that the ١٥ letters (فجثت) (زينب لذود شمس (faa- Jeem- Thaa- taa- zay- yaa- noon- baa-lam- thaal- waw-dal- sheen-meem-seen), with which Imalah is applied to Haa-هـ (they are medium , front-tongue and bilabial letters. Imalah is a front

movement in which the tip of the tongue moves up towards the hard palate, and thus there is quite a convergence between the ١٥ letters, and this implies a hidden symmetry, unlike the Letters of Isti'laa (require the tongue to be escalated to the upper palate) with which Imalah refrains for being upper back sounds whose outlet exists away from the Imalah outlet. The narrowing resulting from Imalah is also limiting the flow of the air and draining it, which is greatly helpful in showing the sound of (Haa-هـ) that is hidden and weak, by providing enough air to make it come out as complete, and this is what Imalah achieves.

المقدمة:

تعد القراءات القرآنية ميداناً خصباً للدراسات اللغوية بجميع أصنافها، ومنها دراسة الظواهر الصوتية في ضوء علم الأصوات الحديث، لاستكشاف أبرز العوامل التي تقف وراء بروز هذه الظواهر، وذلك أن القراءات القرآنية لا تخرج في ملامحها عند سنن العرب في كلامهم، لأن الله سبحانه أنزله قرآناً عربياً، ومن هذه الظواهر إمالة ما قبل هاء التأنيث في قراءة الإمام الكسائي، وهي ظاهرة انتشرت بين العرب قديماً وحديثاً، لعوامل صوتية كثيرة، فجاء هذا البحث ليكشف عن أهم هذه العوامل كما بينها المتقدمون والمتأخرون، ويضع ما قيل على بساط البحث والتمحيص في ضوء علم الأصوات الحديث، للوقوف على الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز ظاهرة إمالة ما قبل هاء التأنيث كلمح لهجي أصيل انتشر في القبائل العربية قديماً وحديثاً، والوقوف على

أهم الأسباب الصوتية لهذه الظاهرة، مع التركيز على ما قاله المتقدمون المحدثون، ومدى اتساق هذه الأقوال مع القوانين الصوتية والدراسات الصوتية الحديثة .

خطة الدراسة:

• الفصل الأول: دراسة عامة حول إمالة ما قبل هاء التأنيث في قراءة الكسائي.

- المبحث الأول: التوصيف النطقي لإمالة ما قبل هاء التأنيث.
- المبحث الثاني: تعريف الإمالة بين القديم الحديث.
- المبحث الثالث: مقارنة بين مخرج الحركات ومخرج الهاء.

• الفصل الثاني: أسباب إمالة ما قبل هاء التأنيث.

- المبحث الأول: المسوغات الصوتية لإمالة ما قبل هاء التأنيث.
- المبحث الثاني: موانع إمالة ما قبل هاء التأنيث.

– المبحث الثالث: نظرات صوتية جديدة في تفسير ظاهرة

إمالة ما قبل هاء التأنيث.

• الخاتمة:.

• المراجع:.

الفصل الأول

دراسة عامة حول إمالة ما قبل هاء التانيث

المبحث الأول: التوصيف النطقي لإمالة ما قبل هاء

التانيث:

تعرف هاء التانيث بأنها الهاء المبدلة من تاء التانيث حال الوقف، مثل: نعمة، رحمة^(١).

ومقصود إمالة ما قبلها، أي إمالة الفتحة التي تسبق الهاء والنحو بها نحو الكسرة، وهي لغة منتشرة في القبائل العربية، وقد نص علي ذلك كثير من العلماء، إذ ليست الظاهرة محصورة في قراءة ابن كثير، يقول ابن الجزري "أمال ما قبلها أي هاء التانيث- بعض العرب، وقيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التانيث، فقال: هذا طباع العربية، قال الحافظ أبو عمرو: يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة، وهي باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب، يقولون: أخذه أخذه، وضربه ضربه...، قلت: الإمالة في هاء التانيث وما شابهها من نحو

^١ - النظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ص ٣٣٨، والمزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢٥٦

(همزة، لمزة، خليفة، بصيرة) هي لغة الناس اليوم والجارية علي
ألسنتهم في أكثر البلاد شرقاً وغرباً وشاماً ومصر، يرون بذلك أخف
على لسانهم وأسهل في طباعهم، وقد حكاها سيبويه عن العرب.^(١)

وذكر ابن يعيش أن الإمالة أكثر كلام العرب^(٢)

وحد الإمالة كما بينه العلماء هو أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة
وبالألف نحو الياء، ويقال له الإضجاع، والتقليل، والتلطف، وبين
بين^(٣)

وقد اشتهرت إمالة ما قبل هاء التأنيث عند الإمام الكسائي،
وهو علي تفصيل سببها لاحقاً - بإذن الله - والإمام الكسائي أحد القراء
العشرة الذين انعقد الإجماع على تواتر قراءتهم، وهو الإمام علي بن
حمزة الكسائي، أبو الحسن الكوفي المقرئ النحوي، ولد سنة ١٢٠ هـ
وقد قرأ القرآن علي الإمام حمزة الزيات أربع مرات، وأخذ العربية عند
الخليل بن أحمد، وكان إمام الناس في القراءة في زمانه، وقال عنه
الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور: كان علم الناس بالنحو،

^١ - النشر، ابن الجزري، ج٢، ص٦٢، وانظر: البدر الزاهرة، القاضي، ج١، ص٣٢.

^٢ - انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، ج٢، ص١٢٦٣

^٣ - انظر: النشر، ابن الجزري، ج٢، ص٢٤

وأوحدهم في الغريب، وأوحد الناس في القرآن، وقال عنه يحيى بن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي . توفي سنة ١٨٩هـ، أشهر رواته، أبو الحارث الليث بن خالد المروزي، وحفص الدوري^(١).

من أمثلة إمالة ما قبل هاء التأنيث والنحو بالفتحة نحو الكسرة،
كلمة: رحمة.

Rahmah بالفتح rahmeh بالإمالة

غير إن هذه الإمالة لا تشمل جمع المواطن، بل هناك تفصيل مبني على الحرف الذي يسبق الهاء، فتمال الفتحة إذا سبقت الهاء بأحد الحروف الخمسة عشر (فجئت زينب لذود شمس)^(٢) مثل:
الخطفة - بهجة - مبنوثة - بغنة - همزة - دية - الجنة - حبة -
غفلة - لذة - قسوة - قردة - بطشة - رحمة - خمسة.

^١ - انظر: النشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١٣٨، الفرقان المبين في إفراد وجمع أصول القراءات، محمد

بن عبد الله عبده، ص ٦٠-٦١، والمنير في أحكام التجويد، مجموعة مؤلفين، ص ٢٥٠-٢٥١

^٢ - انظر: النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٦٣، وإتحاف فضلاء البشر، البناء، ص ١٢٣-١٢٤

وتمنع إمالة الفتحة إذا سبقت الهاء بأحد حروف الاستعلاء

(خص ضغط قط) إضافة إلى الحرفين (ح ع) ^(١) مثل:

نفخة - مخمصة - قبضة - صبغة - بسطة - نفقة - غلظة - نفخة

- صنعة

^١ - انظر: المصدران السابقان، المواضع نفسها، وإبراز المعاني، أبو شامة، ج ١، ص ٣٣٧، والبدور

الزاهرة، القاضي، ج ١، ص ٣٢

المبحث الثاني: تعريف الإمالة بين القديم والحديث.

يذهب النحويون إلى أن الإمالة عملية تقريب للألف من الياء، والفتحة من الكسرة، وتحتيتها والعدول بها نحو الياء^(١)، قال ابن يعيش^(٢) "الإمالة في العربية عدول بالألف عن استوائه وحنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ومخرج الياء".

فالإمالة حركة متوسطة بين الفتحة والكسرة، بحيث لا تكون فتحة خالصة ولا كسرة خالصة، وإنما هي بين بين.

والمحدثون لا تختلف نظرتهم كثيراً عن رأي المتقدمين، غير أن لهم في ذلك تفصيل في آلية نشوء الإمالة، فيري المعاصرون أن الإمالة حركة واقعة بين أعلى حركة وأدنى حركة، فأعلى حركة أمامية هي الكسرة والكسرة الطويلة، وأدنى حركة أمامية هي الفتحة والفتحة

^١ - انظر: الأصول، ابن السراج، ج ٣، ص ١٦٠، والهمع، السيوطي، ج ٦، ص ١٨٣

^٢ - شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٩، ص ٥٣

الطويلة، وأى حركة واقعة بين الكسرة والفتحة أو بين ياء المد وألف
المد هي حركة ممالاة^(١)

فاللسان مع الفتح يستوي في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود
نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمى الإمالة^(٢)

إن هذا التقريب بين الحركتين لإنتاج صوت ثالث، إنما جيء
به للمشاكل والمجانسة، وهو ما نص عليه المتقدمون، على أن
الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من
التشاكل، وأن التناظر بينهما أدى إلى إيجاد نوع من التوازن بجنوح
الفتحة نحو الكسرة، الألف نحو الياء، فصار الصوت بين بين فزال
الاستئقال واعتدل الأمر^(٣)

^١ - انظر: تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، استيتية، ص ١٠٧ - ١٠٨

^٢ - انظر: في اللهجات العربية، أنيس، ص ٦٤

^٣ - انظر: شرح مفصل، ابن يعيش، ج ٩، ص ٥٤، والخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ٢٤٣، والهمع،
السيوطي، ج ٦، ص ١٨٨

مما لا شك فيه أن الانتقال من الكسرة إلى الفتحة يتطلب
مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت وتقاربت الحركات بأن تصبح
متشابهة^(١)

^١ - انظر: في اللهجات العربية، أنيس، ص ٦٧

المبحث الثالث: مقارنة بين مخرج الحركات ومخرج الهاء.

تتحدد أنواع الحركات بحركة اللسان وتحديدًا مؤخر اللسان نحو سقف الحنك اللين، ومقدم اللسان نحو الحنك الصلب، فإذا كان اللسان مستويًا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين مع اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء مروره بها، ينتج عن ذلك صوت الفتحة، وإذا تركت مقدمة اللسان يصعد نحو الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيًا لمرور الهواء دون أن يحدث في مروره احتكاك مسموع ينتج عن ذلك صوت الكسرة.^(١)

فمخرج الحركات يحدده شكل اللسان في الفم مع الشكل الذي تتخذه الشفتان، وهذا يؤدي إلى نوع من التضيق التجويفي بسببه يحدث التمييز بين حروف المد الثلاثة^(٢)

فالياء أمامية ضيقة، لأن مقدم اللسان يرتفع إلى الحنك الصلب مع انفراج الشفتين، والواو خلفية ضيقة لأن مؤخر اللسان يرتفع إلى

^١ - انظر: المدخل إلى علم اللغة، عبد التواب، والأصوات اللغوية، بشر، ص ١٩٦، ومحاضرات في

اللسانيات، الشايب، ص ٢١٩-٢٢٠

^٢ - انظر: محاضرات في اللسانيات، الشايب، ص ٢٢٠

الحنك اللين مع ضم الشفتين، الألف أمامية واسعة مع انفتاح الشفتين^(١).

وبين موضعي اللسان في صوتي الفتحة والكسرة، أو -بين وضعه في قاع الفم وارتفاع مقدمه نحو وسط الحنك بحيث يحدث الكسرة الخالصة- أوضاع كثيرة تحدث بسببها أنواع متعددة من الحركات أبرزها في أذهاننا الكسرة الممالة^(٢)، فالإمالة هي حركة أمامية نصف ضيقة.

وأما علاقة الحركات بالهاء؛ فإن كثيراً من العلماء قد نبه إلى مظاهر الشبه الصوتي والوظيفي بينها، ذلك أن كلاهما ينطقان دون وجود عارض يعترض الهواء الخارج من الرئتين عبر القناة الصوتية، فالسامع قد يختلط عليه صوت الحركة بالهاء، خاصة إذا كانا متتاليين.

يقول الاسترنازي^(٣) "هاء التأنيث تشابه الألف في المخرج والخفاء".

^١ - انظر: الأصوات اللغوية، استيتية، ص ١٦٢، ودراسة الصوت اللغوي، مختار عمر، ص ٣١٨

^٢ - انظر: المدخل، علم اللغة، عبد التواب، ص ٩٣، والأصوات اللغوية، استيتية، ص ٢١٨

^٣ - شرح الشافية، الاسترنازي، ج ٣٠، ص ٢٤، وانظر: الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ١٤٠-١٤١

فالهاء صوت احتكاكي مهموس يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار دون أن يحدثذبذبة لهذه الأوتار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بالحركات^(١)

والأصوات المائعة هي أصوات يتسع مجرى الهواء عند نطقها بما يقرب اتساعه عند نطق الحركات، وهي ذات ملامح صائتية من الناحية الصوتية^(٢)

ونظراً لهذه الشبه بين الحركات والهاء فإن العلماء قد فسروا ظاهرة إمالة ما قبل هاء التانيث بناءً على هذا الشبه، إذ عوملت الهاء معاملة الألف. يقول سيويوه^(٣) "سمعت العرب يقولون: ضربة ضربة، وأخذه أخذه، شبه الهاء بالألف، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف"

^١ - انظر: المدخل إلى علم اللغة، عبد التواب، ص ٥٨-٥٩

^٢ - انظر: الأصوات اللغوية، استيتية، ص ١٦٢

^٣ - الكتاب، سيويوه، ج ٤، ص ١٤٠-١٤١

ولأجل هذا الشبه أميل ما قبل هاء التأنيث كما يلي ما قبل
الألف، لأن ما قبل ألف التأنيث مطرد جواز إمالته لا يمعنه شيء^(١).

وعلى ذلك ففي العرف الصوتي القديم فإن إمالة ما قبل الهاء
إنما كان بسبب شبه الهاء بالألف.

^١ - انظر: شرح الشافية، الاسترنازي، ج ٣، ص ٢٤

الفصل الثاني

أسباب إمالة ما قبل هاء التأنيث

- المبحث الأول: المسوغات الصوتية لإمالة ما قبل هاء التأنيث.
- المبحث الثاني: موانع إمالة ما قبل هاء التأنيث.
- المبحث الثالث: نظرات جديدة في تفسير ظاهرة إمالة ما قبل هاء التأنيث.

المبحث الأول: المسوغات الصوتية لإمالة ما قبل هاء

التأنيث.

إن الشبه الصوتي الحاصل بين الحركات والهاء، استدعى طلب نوع من أنواع المخالفة بين الفتحة السابقة للهاء والهاء اللاحقة، طلبا للخفة واليسر، يقول خريسات^(١) "يمكن أن نفسر إمالة الفتحة التي تسبق هاء التأنيث في الوقف على أنها ضرب من ضروب المخالفة بين صوتين متقاربين وهما الفتحة والهاء.

والمخالفة عكس المماثلة، فإذا كانت المماثلة تعني اتجاه صوتين متقاربين إلى التماثل؛ فالمخالفة تعني اتجاه صوتين متماثلين إلى التباعد، فقد تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين هذين الصوتين^(٢)

^١ - التفسيرات الصوتية للظواهر الصرفية، خريسات، ص ١٩٦

^٢ - انظر: الأصوات اللغوية، أنيس، ص ٢١٠، ودراسة الصحو اللغوي، مختار عمر، ص ٣٨٤، وأثر

القوانين الصوتية في بناء الكلمة، الشايب، ص ٢٩٨

وفي الحركات تكون المخالفة باختيار حركة ما مضادة لحركة أخرى في الكمة ذاتها، وغايتها تسهيل النطق، إذ إن تتابع الأصوات المتماثلة قد يجعل اللسان في عسر من نطقها (١)

ومن مظاهر المخالفة بين الحركات ما نراه من إعراب جمع المؤنث السالم بالكسرة نيابة عن الفتحة في حال النصب، وذلك أن الفتحة الطويلة حركة مفتوحة، متسعة فاحتج إلى إيجاد حركة ضيقة، فكانت الكسرة (٢)

بالكسر للمخالفة talibati talibata بالفتح

والمخالفة أيضاً في حركة نون جمع المذكر السالم، حيث حركت بالفتح من باب المخالفة، لأن نون جمع المذكر السالم مسبوقه بضمة طويلة أو كسرة طويلة، وهما حركتان مغلقتان، والمقابل الخلفي هو الفتحة المتسعة (٣)

^١ - انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، الشايب، ص ٩٨.

^٢ - انظر: المصدر السابق، ص ٣٨٨ .

^٣ - انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، الشايب ، ص ٣٩٢

ومما سبق يعلم أن معاملة الهاء كما لو أنها حركة أدى إلى التخلص من التنافر بين الحركة والهاء من خلال المخالفة بين الحركة والهاء، وذلك بإمالة الفتحة نحو الكسرة.

Abdah وكأنها abdaa وبالإمالة أصبحت abdeh

وكأنها abdea

يقول كانتينو (١) "أما في الألسن الدارجة العصرية، فإن علامة التانيث في الكمات المؤنثة غير المضافة تكون بصورة الوقف (هـ)، أو مجرد فتحة متبوعة بهاء خفيفة، بل بهاء كثيراً لا تسمع، وذلك حتى داخل الجملة، ويطراً عندئذ على الحركة تطويل تعويضي، فتدخلها الإمالة كما تدخل الفتحات الطويلة الآخر".

لكن قد يكون هناك عامل آخر ساعد في إمالة ما قبل هاء التانيث، وهو إذا كان قبل الحرف الذي يسبق الهاء كسر أو ياء مثل: خليفة - العزة، وهذا العامل هو المماثلة التقديمية، من خلال تقريب الفتحة من الكسرة السابقة لها بالإمالة، لأن من الأسباب التي ذكرها

^١ - دروس في علم أصوات العربية، كانتينو، ص ١٦٢

العلماء للإمالة هو وجود كسرة أوياء سابقة للحركة^(١)، كضرب من ضروب التماثل والتجانس.

وعليه فالمماثلة التقديمية تعني أن الصوت الثاني تأثر بالصوت الأول فمال لأجله^(٢) بحثاً عن الانسجام والتناسب، مثل:

khalifah khalifeh

fitnah fitneh

وهذا يعني أن الأمثلة السابقة وما شابهها قد اشترك في نشوئها عاملان: الأول عامل المخالفة بين الفتحة والهاء، والثاني المماثلة التقديمية.

^١ - انظر: الأصول، ابن السراج، ج٣، ص ١٦٠

^٢ - انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجي، ص ١٣٧، ولهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر، مطر، ص ٥٤

المبحث الثاني: موانع إمالة ما قبل هاء التأنيث.

تمنع إمالة ما قبل هاء التأنيث إذا سبقت الهاء بحرف من حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ)، إضافة إلى الحرفين (ح ع)، قال سيبويه^(١) "فالحروف التي تمنع الإمالة هذه السبعة: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، العين، القاف، الخاء، إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تلية، وذلك قولك: قاعد، غائب، خامد، صاعد، طائف، وضامن، وظالم، علة ذلك عند النحاة تكمن في كونها مستعلية، والألف مستعلية كذلك، فعدلوا عن الإمالة وأبقوا الألف على حالها".

وقال في موطنه آخر^(٢) "وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى... كان العمل في وجه واحد أخف عليهم، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم".

^١ - الكتاب، سيبويه، ج٢، ص٢٦٤، وانظر: الأصول، ابن السراج، ج٣، ص١٦٣-١٦٤، وشرح

الشافعية، الاسترادي، ج٣، ص٢٥

^٢ - الكتاب، سيبويه، ج٤، ص١٢٩

طبعاً هذا الرأي له وعليه، وهدى ما سنجيب عنه في المبحث

القادم - بإذن الله -

كما أنهم ألقوا الحرفين (ح ع) بذلك كونها حروف حلقية بعيدة

المخرج، وذلك أن اللسان ينخفض بالإمالة فتباعد المخرجان، فكان من

الأخف لهم أن يبقوا الفتحة المستعلية - بنظرهم طبعاً^(١).

^١ - انظر: شرح الشافية، الاسترادي، ج ٢، ص ٤٠

المبحث الثالث

نظرات صوتية جديدة في تفسير ظاهرة إمالة ما قبل هاء التأنيث.

يمكن للباحث أن يقسم هذه النظرات إلى ثلاثة أقسام:

- النظرة الأولى: إن الحروف التي تمال عندها الفتحة التي تسبق هاء التأنيث هي الحروف الخمسة عشر (فجثت زينب لذود شمس). وهي حروف تخرج من وسط اللسان ومقدمه، إضافة إلى الحروف الشفوية (ف و ب م)، ومجيء الإمالة في حركتها إنما هو نوع من التماثل الخفي غير الملحوظ، وذلك من خلال اقتراب الحركة الممالة من مخرج هذه الحروف، فسهل الانتقال من مخرج الحرف إلى مخرج الحركة الممالة، فالإمالة حركة أمامية نصف ضيقة، فأصبح الانتقال لا يستدعي كلفة كبيرة بسبب التقارب.

Humazah humazeh

وكذا الأمر بالنسبة للحروف الشفوية فانقلاع مخرجها إلى

مخرج الحركة الممالاة الأمامية أيسر من الانتقال إلى الألف المتسعة المفتوحة.

- النظرة الثانية: إن الطبيعة المستعلية للحروف (خص ضغط قظ) جعلت منها أصواتاً ضيقة خلفية، لاقترب مؤخر اللسان من الحنك اللين، فتباعد مخرجها من مخرج الإمالة بوضعها حركة أمامية نصف ضيقة، هذا فيه كلفة على اللسان أن ينطلق من ضيق متأخر إلى ضيق متقدم، فكان حقه أن يتبعه حركة متسعة للتخلص من الضيق، وهذا يدفعنا إلى نقد قول المتقدمين من أن الفتحة حرف مستعل فناسب مجيئها مع حروف الاستعلاء. فالفتحة ينزل معها اللسان إلى أقصى درجة ينزل إليها عند نطق حركة^(١). إلا إذا كان مقصودهم من ذلك الفتحة المفخمة بسبب مجاورتها لحرف مستعل، فالفتحة والألف يدخلهما التفخيم بمجاورة الحروف المستعلية^(٢). يقول ابن الجزري^(٣) "وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما يتقدمها، فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً".

^١ - التفسيرات الصوتية للظواهر الصرفية، خريسات، ص ٢٠٦

^٢ - انظر: الأصوات اللغوية، استثنائية، ص ١٤٨ - ١٤٩

^٣ - النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٦٨-٦٩

والألف المفخمة هي الحركة المعيارية الخلفية، عند نطقها تكون أعلى نقطة في اللسان في الجزء الخلفي منه، وتكون هذه النقطة أخفض نقطة خلفية في اللسان بعد إنتاج أي حركة خلفية^(١)

معنى ذلك أن مؤخر اللسان يستعلي إلى الحنك اللين بدرجة أقل من الواو أو الإمالة نحو الواو، فهي حركة خلفية مستعلية.

إن صعوبة انقلاع مؤخر اللسان عن استعلائه وضيقه ليستعلي مرة أخرى في مقدمته أمر فيه صعوبة وثقل، لكن انقلاع اللسان عن استعلائه ليستقل بمقدمته ووسطه - مع استعلاء مؤخرة في الأنف المفخمة - أمر فيه اتساع ويسر نطقي وملحوظ.

وتكاد تكون نظرية التخلص من الضيق إلى المتسع والعكس كذلك، سمة شائعة في الحركات، ففي جمع المذكر السالم تفتح النون للتخلص من الحركيين الضيقتين الياء والواو اللتين تسبقان النون مثل مسلمين - مسلمون، إذ توصف الفتحة بالحركة المتسعة، وفي جمع المؤنث السالم تكسر التاء في حالة النص للتخلص من الحركة المتسعة (الألف)^(٢).

^١ - انظر: الأصوات اللغوية، استيتية، ص ٢١٨

^٢ - انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، الشاب، ص ٣٩٢

- النظرة الثالثة: إن الإمالة فيها تضيق نسبي لمجري الهواء المتدفق، ووظيفة هذا التضيق هو المساعدة في إظهار جرس الهواء، فخفاء الهاء وضعف جرسها يتطلب أن تتقوى وتظهر، خاصة في نهاية السلسلة الكلامية، فحققت الإمالة اقتصادا وتقليلًا من تدفق الهواء واندفاعه من خلال التضيق الحاصل، وذلك لإبقاء هواء كاف لإخراج الهاء وإظهارها غير منقوصة، لأن انفجار الفم بالفتح قد يستنزف الهواء وعدم كفايته للهواء، ولو أخذنا هذا المثال: (ضحاه)، الحظ كيف اختفت الهاء بين الألفين الأوليتين.

وقد ألمح كاننينو إلى ذلك بقوله^(١) "إن علامة التأنيث في الكلمات المؤنثة غير المضافة تكون بصورة (هـ)، أو مجرد فتحة متبوعة بهاء خفيفة، بل بهاء كثيرا لا تسمع"، لأن النطق بالهاء يتخذ معه الفم نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بالحركات^(٢).

^١ - دراسة في علم أصوات القديمة، كاننينو، ص ١٦٢.

^٢ - انظر: المدخل إلى علم اللغة، عبد التواب، ص ٥٨-٥٩.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها:..

١- أن إمالة ما قبل هاء التأنيث تعد من الظواهر المنتشرة بين العرب قديماً وحديثاً.

٢- أن التقارب بين الحروف التي تمال عندها هاء التأنيث، وبين الحركة الممالة، يعد من أهم مسوغات الإمالة، والتي سماها الباحث بالتماثل غير الملحوظ، أو الخفي.

٣- إن مانع الإمالة بعد الحروف المستعلية كان بسبب صعوبة انقلاع اللسان من الاستعلاء الخفي والانتقال إلى الاستعلاء الأمامي.

٤- أن ما ذكره المتقدمون من التجانس بين حروف الاستعلاء والألف صحيح إذا كان مقصودهم الألف المفخمة التي تتبع الحروف المستعلية.

٥- أن التضيق الحاصل بسبب الإمالة، حد من تدفق الهواء، مما وفر كمية من الهواء تكفي لإخراج الهاء كاملة وإبراز جرسها.

قائمة المراجع:

١. إبراز المعاني من حرز الأمانى، أبو شامة عبد الرحمن
الدمشقي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية.
٢. إتحاف فضلاء البشر، شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني
البناء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، الطبعة
الثالثة.
٣. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، عالم
الكتب الحديثة، إربد، ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى.
٤. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٧٩م، الطبعة الخامسة.
٥. الأصوات اللغوية، سمير استيائية، دار وائل للنشر، عمان،
الأردن، الطبعة الأولى.
٦. الأصوات العربية، كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة،
١٩٨٧م.
٧. الأصول في النحو، محمد بن سهل بن السراج، تحقيق: عبد
الحسين القتلى، الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

٨. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
٩. التحليل الصوتي للظواهر الصوتية عند الكسائي، سمير استيتية، مجلة جامعة الملك سعود، الآداب، ١٩٩٤م.
١٠. التفسيرات الصوتية للظواهر الصوتية، محمود خريسات، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٢م.
١١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، الطبعة الرابعة.
١٢. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م، الطبعة الرابعة.
١٣. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرماوي، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
١٤. شرح الشافية، رضى الدين الاستربادي، تحقيق: محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
١٥. شرح المفصل، موفق الدين أبو البقاء ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

١٦. الفرقان المبين في أفراد وجمع أصول القراءات العشر المتواترة،
محمد بن عبد الله عبده، مطبعة الخط العربي، عمان، الأردن،
٢٠٠٦م، الطبعة الأولى.
١٧. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، الطبعة الرابعة.
١٨. الكتاب، عمرو بن عثمان سيوييه، تحقيق: عبد السلام
هارون، دار الجيل، بيروت.
١٩. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبد الراجحي، دار
المعارف، مصر، ١٩٦٩م.
٢٠. لهجة البدو في الساحل الشمالي بجمهورية مصر العربية، عبد
العزیز مطر، دار المعارف، ١٩٨١م.
٢١. محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب، وزارة الثقافة، عمان،
الأردن، ١٩٩٩م.
٢٢. المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٩٩٧م، الطبعة الثالثة.
٢٣. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار
الفكر، بيروت.
٢٤. مغني اللبيب، جمال الدين ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك،
دار الفكر، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

٢٥. المنير في أحكام التجويد، مجموعة مؤلفين، جمعية المحافظة

على القرآن الكريم، الأردن، الطبعة الثانية والعشرون.

٢٦. النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد ابن

الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق:

عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م.